# سـنة ١٩٠٤

دسائس البكرى فى الأزهر ضد المفتى . محاولة أخرى للسيد البكرى . مدام جولييت آدام والانجليز . الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا . فضائح فوضى الرتب . فى العائلة الخديوية . سخط الخديو على حسن عاصم باشا . يوسف طلعت باشا ووالده . سفر الخديو الى أوربا ثم الاستانة وسفرى مع الحرم . علاقات الخديو مع الانجليز . تركيا والحدود الغربية . قطع العلاقات بين مصطفى كامل وعباس . قضية زواج صاحب المؤيد . قاضى مصر التركى وديوان الأوقاف . تعيينى رئيسا للديوانين العربى والافرنجى .

---

دسائس البكرى فى الأزهر ضد المفتى . كان الخديو قد استمع إلى نصح الشيخ محمد عبده فى العمل لاصلاح الأزهر كما قدمنا ، وفوض للشيخ أمر السير بحركة الاصلاح ، معتقداً أن الشيخ فى مقابل ذلك لا يعارضه فى تصرفاته ورغباته ؛ ولكن الخديو خاب ظنه فى تقدير صلاته بالشيخ واستقلاله ؛ فقد انحلت كسوة من الدرجة الأولى من كساوى التشريف العلمية بموت أحد كبار العلماء ، فأرسل الخديو لشيخ الأزهر يبلغه أمر سموه الشفوى بتوجيه هذه الكسوة إلى الشيخ محمد راشد مفتى المعية ، فلم ينفذ الأمر وأسندت الكسوة إلى شخص آخر ، فلما اجتمع العلماء عند سموه فى التشريفات النصف الشهرية قال الخديو لشيخ الأزهر غاضباً: « ألم آمرك بتوجيه كسوة فلان إلى فلان؟ » فتلعثم الشيخ معتذراً ، فرد الشيخ محمد عبده قائلا : « إن الذى قرره مجلس إدارة الأزهر إنما هو التنفيذ لأمر أفندينا وهو ما نص عليه القانون المتوج باسم سموكم ؛ وأما الأوامر الشفوية فلا يعتمد عليها المجلس ، فاذا شاء أفندينا أن تكون كساوى التشريف العلمية

بمقتضى إرادته الشخصية ، فليصدر بذلك قانوناً آخر ينسخ هذا القانون ، أو مادة قانونية نصها : كساوى التشريف للعلماء توجه بأمر منا . » فلما سمع الخديو هذا الرد احمر وجهه ووقف إيذاناً للحاضرين بالانصراف .

وعلى أثر ذلك طلبني الخديو فرأيته في غاية الكدر وبادرني بقوله محتداً : « تعرف إيه اللى حصل النهارده ؟ » فأجبت سلباً ، فأخبرني بما حصل ملوحاً بالانتقام من الشيخ محمد عبده .

وقابلت الشيخ بعد ذلك فلمته على هذا الرد الجاف ، وقلت إن الواجب يقضى عليه بأنه يحسن القول فى الرد ، وأفهمته أننا بهذا الأمر قد خسرنا كل ما قمنا به من الجهود وفقدنا الخطوة الأولى فى سبيل إصلاح الأزهر .

وزاد فى غضب الخديو على الشيخ محمد عبده ما كان من توثق العلاقة بين الشيخ واللورد كرومر ؛ فقد كان اللورد يجله ويقدره قدره ويستشيره فى بعض المسائل الحكومية الهامة . ولما ذاع أمر هذا الحادث قام المشاغبون الناقمون على الاصلاح بالأزهر ، بتعضيد من الخديو ، ضد الشيخ .

وأكثر السيد محمد توفيق البكرى من التردد على سموه فى هذه الأيام ، وكان يعمل على إيذاء الشيخ المفتى لأنه عدوه وعدو الخديو كما يعتقدان . وفى ذات يوم طلبني سموه لقصر القبة ، وجمعنى مع البكرى قائلا : « يا سيد أنا لا أثق إلا بشفيق بك ، فليكن هو الواسطة فى مخابراتنا . »

وفى ٩ يناير حضر السيد عندى وطلب مقابلة الخديو وكان على وشك السفر إلى المنتزه . وبعد المقابلة ، قال لى سموه إن السيد البكرى سيحضر لى أوراقاً أتسلمها منه وأعطيها لحسن عاصم باشا باعتبار أنها واردة له من الخديو . وبعد ذلك حضر الشيخ على يوسف وتحادث مع سموه فقال له : « اتحد مع شفيق فيما أمرته بخصوص السيد البكرى . » وأمرنى أن أعرض على سموه برقياً كل ما يحصل .

وقد علمت منهما بعد سفر الخديو أن الغرض من هذا المسعى الذى دبره البكرى والشيخ بخيت عضو المحكمة الشرعية . هو حمل بعض أعضاء مجلس إدارة الأزهر على الاستقالة وهم : الشيخ ابو الفضل الجيزاوى ، والشيخ سليمان العبد ، وشيخ الحنابلة ، ليستبدلوا بالشيخ بخيت والشيخ محمد راشد وثالث يكون من خصوم الشيخ محمد عبده ، وبذلك يكون فى مجلس الادارة حزب قوى لمعارضة نفوذه .

وكان الشيخ على يوسف يعترض على هذا العمل وينوه بخطورته إذا انكشف ، وقد ذكرته بهذه المناسبة بأنه هو السبب فى اتصال السيد توفيق بالخديو بعد مجافاته ، لأنه سعى فى صفح الخديو عنه .

وبينما نحن نتحدث عن هـــذا الموضوع فى إدارة المؤيد إذ حضر الشيخ المفتى وقال إنه بلغه أن هناك مؤامرات فى الأزهر ، وأنه عالم بالغرض الذى ترمى اليه ؛ وأن الحكومة لا بد أن تعلم ذلك . وأضاف على ذلك أن الأعضاء المطلوب استعفاؤهم لا يفعلون ذلك إلا بطلب من الخديو نفسه .

وكنت قد فكرت فى حل لهذا المشكل ، وذلك أن يأتى المفتى إلىّ فى عابدين ويطلب منى أن أرسل إشارة برقية للخديو خلاصتها : « أن الشيخ محمد عبده بلغه ما يجرى فى الأزهر ، وإنه يعرض على أعتاب الخديو استقالته من عضوية مجلس إدارة الأزهر ، وأنه مسافر إلى المنتزه لهذا الغرض . »

وكان غرضى بهذا الحل أن يعرف الخديو أن المفتى علم بالدسائس التى تدبر فيحذرها ، وفى الوقت نفسه حينما يرى خضوع الشيخ يتنازل عن خصومته له ، فينتهى المشكل بذلك . فلما عرضت هذا الحل على الشيخ محمد عبده قال إنه سيفكر ثم يخبرنى برأيه . وفى اليوم التالى قابلنى وقال لى : « إن متشل أينس وكيل المالية علم بالمناورات الواقعة فى الأزهر ، وإنه ربما طلب منى الافصاح عن أسباب استقالتى فماذا أقول ؟ » فأجبته بأن خير حل لذلك هو أن يتوجه للمنتزه فى الغد ويعرض الاستقالة على الخديو ، محتجاً بأنه لا يريد إحداث متاعب لسموه ببقائه فوافقنى .

وأرسلت للخديو فى ١٠ منه رسالة بأنه لم يستقل أحد ممن فاوضهم البكرى . وجاءنى الشيخ المفتى مساء وقال إنه عازم على السفر غداً ، فأرسلت لسموه برقية بأن البكرى لم يفلح فى مسعاه ، وأن الشيخ محمد عبده رأى من نفسه أن يقدم استقالته إراحة لخاطر الخديو ، وسيحضر للمنتزه لهذا الغرض وذلك تصرف حسن منه ومسلك طيب نحو سموه .

وقد ذهب الشيخ المفتى وقدم استقالته فلم يقبلها الخديو ؛ ولكنه قدح أمام سموه فى حق البكرى مما جعل عباساً يزيد تمسكا بعلاقته واعتماداً على سعيه فى الدس للشيخ محمد عبده .

وقد جاءتنى برقية من المنتزه فى ١٢ منه فيها : « إن الشيخ المفتى حضر أمس وتشرف

بالمقابلة ولكنه لم يحصل على نتيجة بالمرة ، ولذا يجب مقابلتكم لشيخ الأزهر وتفهيمه ذلك ، إذ ربما يدخل المفتى بتمويهات لا أصل لها ، ومن جهة أخرى يجب مقابلة توفيق البكرى وتفهيمه أن يستمر فى إتمام المشروع المكلف به وهو إنهاء مسألة الشيخ أبى الفضل لحين عودة سموه . »

أما مسألة الشيخ أبى الفضل فقد كان البكرى يصرح بأنها من أيسر الأمور ، لكنه حضر لى وأفهمنى أن شيخ الأزهر يماطل ويصانعنا فى الظاهر ثم يوعز فى الخفاء لزملائه بعدم الاستقالة ووصفه بأنه « جزويت » أى شديد المكر . ثم أبدى لى مايفيد عجزه حتى يحضر الخديو ويحادث كرومر فى الأمر . فأرسلت لسموه برقية بذلك ، وبأنى قابلت الشيخ الكبير فنفى لى ما قاله البكرى ، وقرر خضوعه للجناب العالى ؛ ولكنه يرى أن الدسائس زادت فى الأزهر ، وأن المتوسطين لم يحسنوا الخطة ، فانكشفت الدسائس بشكل غير مستحسن .

وفى ١٣ يناير حضر عندى السيد البكرى وحادثنى طويلا فى هذه المسألة ، فنصحته له بأن يكتب للخديو بما يريد ويسلمه لى لارساله لسموه ، وكنت أرمى بذلك إلى أن يعلم سموه بجهل البكرى سفر المفتى ، ويطلع على فكرته فى طلب المساعدة من كرومر وهو الأمر الذى يكرهه عباس ، وبذلك يغضى عن السيد توفيق محور هذه الدسائس فتنقطع أسبابها ؛ ولم أخبره بأن الخديو سيحضر للقاهرة اليوم حسبما أعلم لئلا يمتنع عن الكتابة . فوافق السيد وكتب ما نصه : « مولاى أدام الله ملكه — أخبرنى محمد بيرم بك أمس بخبر ، ولكنه يقبل قدم أفندينا بأن لايسمعه أحد فانه إن سمع لغط ؛ وذلك الخبر هو أن الشيخ محمد عبده توجه أول أمس إلى اللورد كرومر وقال إن سمو مولانا الخديو يريد رفتى ورفت مجلس الادارة جميعه ، وطلب منه أن يتداخل فى الأمر ؛ فقال اللورد بأنه لا يمكنه التداخل . ولما يئس الشيخ محمد عبده منه قال له : إئذن لى حينئذ أن أتوجه للاسكندرية وأتكلم مع سمو الخديو . فقال له اللورد : أنا لا أمنعك بان تتوجه ، ولكن الأليق أن ننتظر سموه إلى أن يحضر ، فخرج الشيخ محمد عبده ، وقابل بطرس باشا غالى فأشار عليه بالسفر إلى الاسكندرية ، فقال الشيخ محمد عبده لكثير من أصحابه ، بأنى سأسافر فى هذا المساء إلى الاسكندرية لمقابلة ولى النعم ، فأشيع الخبر فى مصر بأنه سافر حتى أنه كتب فى بعض الجرائد ، ولكنى طلبت مقابلة الشيخ محمد عبده أمس فحضر عندى فسألته عن المسألة بوجه الاجمال لأعرف فكره ، فوجدت أنه خضع وغير الموضوع حيث قال بأنه لا يوجد أدنى توقيف منا فى تغيير

مجلس الادارة ، ولكن لم نفهم قصد سمو أفندينا تماماً فنحن ننتظر مقابلته بالذات لنفهم الغرض فننفذه ، وكذلك شيخ الجامع قال لشفيق بك صباحاً بأن المشايخ مستعدون لتقديم الاستعفاء ، ولكن لسمو أفندينا بالذات ، وهذا كله غير ما كانوا يقولونه قبل مقابلة الشيخ عبده لكرومر ، ورأى عبدكم أن سموكم لا تظهرون لهم أدنى غضب ، ولكن حيث إنهم لم يفهموا أو لم يثقوا بأن أكون أنا واسطة بين سموكم وبينهم ، فسموكم تفهمونهم المسألة وتأمرونهم بتنفيذها فى الحال وقبل صدور الأمر بالتنفيذ تتكلمون مع اللورد كرومر فيها من باب حسن المعاملة .

هذا وعندى أشياء كثيرة سأتشرف بعرضها عند تشريف الركاب العالى إلى هنا أدام الله مولاى ولى النعم مؤيداً بالعز والنصر دوام الدهر ؟ العبد الخاضع

إمضاء — محمد توفيق البكرى

حاشية — المبدأ الذى يتخذه مولاى فى هذه المسألة هو هذا : إنى أريد إصلاح الأزهر لأنى أعتقد أنى باصلاحه أصلح حالة الأمة الدينية والأدبية ، ولكن لجنة الادارة الحالية لا يمكنها أن تنفذ الاصلاح ، لسبب هو أن أعضاءها قسمان : قسم ضعاف جداً لا يصلحون لعمل ، وقسم أذكياء ولكن الثقة الدينية مفقودة منهم ، فلجنة بهذه الصورة لا يمكن أن علماء الأزهر يقبلون لها أمراً ولا نهياً ، وكل إصلاح منها يقابل بالرفض والهياج ، فأحببت أن أبقى الأذكياء ، وأبدل الضعاف بآخرين حائزين للاقتدار والثقة ، فيكون من مجموع الكل لجنة مقتدرة ذكية فيها ثقته فيمكنها أن تقنع العلماء بقبول الاصلاح .

أما الأعضاء فعندنا أسماء كثيرة منها الشيخ النجاتى مفتى الأوقاف الذى شمله مولاى بعنايته أخيراً ؟ العبد الخاضع

١٣ يناير سنة ١٩٠٤ إمضاء — محمد توفيق البكرى

ووصل الخديو فى المساء عائداً من المنتزه ، فانتظرته فى المحطة وركبت معه القطار إلى القبة ؛ وفى أثناء الطريق قرأت عليه رسالة البكرى فلم يستحسن ما جاء بها من الآراء ولا سيما مسألة استشارة كرومر .

ولما لم يفلح السيد توفيق البكرى فى مهمته ألق التبعة أمام الخديو على شيخ الأزهر وقد استغربت حينما حادثنى سموه فى الأمر ، وردد أمامى كلمة « جزويت » وصفاً للشيخ ، وهى الكلمة التى قالها البكرى ، فكان الخديو يردد حتى ألفاظه لا أفكاره فقط

وكان من جراء ذلك الشغب أن استاء الشيخ الأكبر، وطلب الاستقالة. ولكن بطرس باشا أشار على الخديو بعدم قبولها، لأنها أتت فى وقت حرج، فأرسلنى سموه للشيخ لأهدئ خاطره؛ ثم قابل الخديو بناء على نصحى فى مسجد المطراوى حيث كان يؤدى فريضة الجمعة، فنال عنايته ودعاه لتناول طعام الغداء معه فى القبة.

وقد انتهت الدسائس ضد المفتى، بأن صرح اللورد كرومر يوم ١٤ يناير أثناء مقابلته للخديو، بأنه مهما كانت الأحوال فانه لا يوافق على فصل الشيخ المفتى من الافتاء ما دام موجوداً.

ولكن ذلك كله لم يثن الخديو عن خطته، فأثار على الشيخ جريدتى اللواء والظاهر وعلى الأخص فى فتوى صدرت منه رداً على سؤالين من بعض مسلمى الترنسفال وهما:

(١) بقر يضرب على رأسه بالبلطة حتى تضعف مقاومته، ثم يذبح قبل أن يموت بدون تسمية. هل يجوز أكل لحمه؟

(٢) يوجد أفراد فى هذه البلاد (الترنسفال) يلبسون البرانيط لقضاء مصالحهم وعود الفوائد اليهم. فهل يجوز ذلك أم لا؟

فأفتى الشيخ المفتى بالاباحة فى الحالتين فقام العلماء وقعدوا بخصوص الفتوى الأولى على الأخص يحرمون فيها أكل لحوم هذه الأبقار باعتبار أنها موقوذة، ويطعنون على الشيخ. فرد عليهم الشيخ بأن الموقوذة هو ما ضرب بغير محدد كالخشب والحجارة حتى انحلت قواه ومات.

لم يكتف الخديو بذلك، بل حرض العلماء عليه، فرموه بأنه وهابى كما رموه بالزندقة لعدم أخذه بآراء شيوخ المذاهب؛ فرد عليهم الشيخ بما يدحض فريتهم.

وزاد خصوم الشيخ على ذلك بأن لفقوا صورة شمسية له مع بعض نساء الأفرنج وحملوها إلى اللورد كرومر وأفهموه أن هذا فى عرف المسلمين إزراء بالشيخ ومنصبه، وأنه ينبغى إقالته مراعاة لشعورهم. فتبسم اللورد ساخراً من هذه السخافة، وأبدى ريبة فى صحة هذه الصورة، وقال لهم: «إن الأستاذ يزورنا هنا وتحضر مجلسه ليدى كرومر وغيرها من عقائلنا، فهل يصح أن نعد هذا إهانة له أو لنا؟» وبذا خاب مسعاهم لدى كرومر. وكنت أنظر إلى هذه الدسائس بعين التوجس لأنها لا تجدى الخديو نفعاً بل تشجع الدساسين على غيهم.

وقد نشرت هذه الصورة فى جريدة « حمارة منيتى » كما نشرت جريدتا « البابا جللو المصرى » و « الأرنب » صورة وقحة أثارت دهشة الجمهور وكانت سبباً فى قضية جنائية حكم فيها فى ٦ فبراير على عبد الحميد كامل افندى صاحب الجريدة الأولى بالحبس ستة أشهر وحسين توفيق افندى صاحب الجريدة الثانية بالحبس أربعة أشهر لانتهاكهما حرمة الآداب فى حق فضيلة المفتى بواسطة إشهار رسمه وتصويره واقفاً مع امرأة بلباس الرقص بحالة شائنة ، ثم القذف فى حقه بأنهما أسندا اليه الكفر وتحليل المحرمات، وغير ذلك من الأمور الموجبة احتقاره عند أهل وطنه .

وفى ٢٥ فبراير قرأت فى بعض الصحف العربية أن المفتى قابل بطرس غالى باشا وقال له : « يظهر أن الجناب العالى اتفق مع الانجليز على إبعادى من منصبى ، فاذا كان هذا الخبر صحيحاً فانى مستعد لتقديم استقالتى . »

ولما سألت بطرس باشا عن هذا الخبر أجابنى : « إنى سمعت من الخديو أن المحتلين عرفوا خبث المفتى وأنهم غير راضين عنه — وإن كان سموه لم يسمع ذلك من كرومر نفسه — ولكنه كان يعلم أن اللورد قال مرة بأنه مهما قيل عن هذا الرجل فانه لا يمكن تعويضه فى كفاءته ، ولذلك فانى أستبعد جداً موافقتهم على فصله . »

وكانت لدسائس الأزهر ذيول أخرى ؛ فقد قام الشيخ محمد الرفاعى والشيخ محمد راشد وآخرون بتقديم مذكرة ضد الشيخ الكبير والمفتى ولكنها حفظت لرضاء الخديو عن الأول وعجزه عن تنفيذ ما يريد ضد الثانى(*) .

*محاولة أخرى للسيد البكرى* . وقد كان من الآراء التى عرضها السيد البكرى على سمو الخديو فى هذه الأثناء العمل على استمالة المستر بويل ، السكرتير الشرقى للورد كرومر ، وأصحاب جريدة المقطم للمعاونة فى هذا النضال .

أما الأول فقد قال عنه السيد : « إنه مستشار اللورد المطاع ، وإن استمالته سهلة بواسطة بيرم بك . » ولكنى شرحت للخديو ما تنطوى عليه هذه المحاولة من الخطر إذا علم بها اللورد ، وأنه من المرجح أن يرفض بويل نفسه هذا العرض .

ومع ذلك فقد جاءنى السيد يوما وقال إنه يريد إبلاغ كرومر بواسطة بويل أن من مصلحته الاتفاق مع الخديو ، الذى تقف الأمة من ورائه تؤيده ، ثم تحدث فى

(*) يراجع هذا الموضوع فى سنة ١٩٠٥ من المذكرات .

مسائل أخرى ، فلم أستحسن شيئاً من ذلك فانصرف وأرسل لى كتابا يقول فيه : « حيث إنكم لم تستحسنوا ما عرضته عليكم فلا داعى لعرضه على الخديو ، ولكن على كل حال أرجو أن تعرفوا أن أهم سلاح لنا هو أن الأمة كانت ثائرة على الحكومة فى مسألة صندوق التوفير ، وأن الخديو هو الذى أسكتها وهدأها ، وأنه إذا رفع يده عن إسكاتها عادت إلى ما كانت عليه ، وكانت المتاعب على الحكومة وأنصارها ، وهذا أمر سيعلم لهم أى الانجليز من جملة طرق . »

وقد تكلم معى أيضاً فى أنه يستطيع ضم أصحاب المقطم للخديو ، فقلت له أن يصنع مايريد ، فحدثهم فى ذلك ، فأجابوه بأنهم يلقون من الخديو إعراضاً على الرغم من الخدم التى قاموا بها لسموه . فقال لهم السيد إن سموه لم يغض الطرف عنهم ، وإنه يقدر خدماتهم وينوى إظهار ذلك التقدير بالانعام برتبة على صديقهم أخنوخ فانوس افندى ، فشكروا لسموه ووعدوا بالمساعدة .

ولم يمض يوم واحد على ذلك حتى طالعت فى المقطم مقالا فيه طعن على الخديو والحاشية ، فلفتّ نظر السيد إلى ذلك ، وأن الاتفاق لم يمض عليه أكثر من يوم . ولكنه اعتذر بأن المقال كان معداً من قبل الاتفاق ، وأنه لن يحدث شىء من ذلك فى المستقبل .

### مدام جولييت آدام والانجليز

وقد حدث احتكاك جديد بين الخديو والمحتلين بسبب قدوم مدام جولييت آدام الكاتبة الفرنسية الشهيرة إلى مصر ؛ وكانت قد تقابلت مع سموه فى العام السابق بباريس ، وعرفها قبل ذلك بأعوام على يد مصطفى كامل ، فدعاها لزيارة مصر على نفقته الخاصة لتقضى بها فصل الشتاء . ولما كانت معروفة بخصومتها للانجليز ، فقد تقرر أن يتولى دعوتها مصطفى كامل باشا فقدمت وأقامت أياماً فى القاهرة شهدت خلالها

مدام جولييت آدام

عدة مآدب أقامها مصطفى كامل باشا وحسين واصف باشا والبرنس حيدر بك وغيرهم وحضرت أنا بعضها ، ثم سافرت إلى الصعيد مع مصطفى كامل باشا والبرنس حيدر بك وهنالك خلال رحلتها دعاها كثير من الوجهاء إلى مآدب أخرى ، ولما عادت أدب لها سموه مأدبة فى سراى القبة ، ثم عادت بعد ذلك إلى فرنسا شاكرة مسرورة .

وبعد قليل ظهرت مجلتها الشهرية « نوفيل ريفو » وفيها فصل طويل عن مصر تنتقد فيه سياسة فرنسا التى أدت إلى احتلال الانجليز لمصر ، وتقول فى ختامه : « إن كل الاصلاحات التى تمت بمصر وضع أساسها الفرنسيون ، ثم ادعاها الانجليز لأنفسهم . » ولقد ثار اللورد كرومر لنشر هذا المقال وكتب إلى وزارة الخارجية الانجليزية ، فأرسل وزيرها يطلب فى لطف بيانات عن زيارة مدام آدام واحتفال الخديو بها مع العلم بأنها تخاصم انجلترا . وحضر اللورد إلى السراى وتحادث مع سموه وأطلعه على رسالة وزير الخارجية ، فأجابه بأنه يعرف مدام آدام منذ سنوات ، وكانت قد دعته لمأدبة أثناء زيارته لفرنسا فرأى من باب المجاملة — وقد حضرت لمصر — أن يرد لها الدعوة وإن الدعوة كانت خالية من كل معنى سياسى .

وطلب سموه من كرومر أن يكتب الرد بطريقة يقنع بها وزير الخارجية . فسر اللورد بهذا الطلب لما يشف عنه من تقرب الخديو من الانجليز والعمل على رضائهم .

وقد قال لى الخديو إنه ورد فى رسالة وزير الخارجية جملة مفادها أن الجناب العالى لا ينسى مركز انجلترا فى مصر ، وهو سيكون عما قريب أقوى مما هو الآن ، وأن سموه يبدى شعوراً طيباً نحو انجلترا ، ولكنه يجب كذلك أن يعلم العالم أن هذا الشعور حقيقى لا ظاهرى .

**الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا** . فى ٨ أبريل من هذا العام وقع حادث سياسى خطير له علاقة وثيقة بمستقبل مصر ، وذلك هو عقد الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا .

وكانت السياسة الفرنسية ترمى إلى مناوأة السياسة الانجليزية فى مصر بعد أن فازت انجلترا دونها باحتلال وادى النيل ؛ ولكن فرنسا لقيت فى ذلك الحين مصاعب جمة فى مراكش ، وخشيت أن يؤدى فشل إدارتها إلى تدخل الدول ولا سيما انجلترا وأسبانيا فى مصالح مراكش ؛ ولكن أسبانيا كانت مشغولة بمتاعبها فى المنطقة الاسبانية ( الريف ) ، وكانت انجلترا هى التى يخشى منها ، ولهذا كان من الواجب أن تحصل

فرنسا على حياد انجلترا ، وكان الثمن الطبيعى لذلك هو أن تحصل انجلترا على حياد فرنسا فى شئون مصر . وبدأت المفاوضات بين الدولتين على هذا الأساس منذ سنة ١٩٠٣ ، وانتهت بعقد الاتفاق الودى بينهما ، ووقعه اللورد لانسدون وزير خارجية انجلترا ومسيو كامبون سفير فرنسا فى لندرة .

وتنص مواد هذا الاتفاق الخاصة بمصر على حرية الحكومة المصرية فى المسائل المالية ، وعلى موافقة انجلترا على اتفاقية قنال السويس التى عقدت عام ١٨٨٨ خاصة بحيدة القنال . وقد انتدب السير الدون جورست ، نظراً لالمامه بالأحوال المصرية عامة والمالية خاصة ، لوضع ما يختص بمصر فى هذا الاتفاق . وهذا هو أهم نص فيه :

« تعترف الحكومة الانجليزية أنها لا ترغب فى تغيير نظام مصر السياسى وتعترف الحكومة الفرنساوية من جانبها أنها لا تعرقل أعمال انجلترا فى مصر بسؤالها أن تحدد موعد الجلاء عن مصر أو بأية طريقة أخرى . » وبعبارة أخرى اعترفت فرنسا بالاحتلال الانجليزى لمصر وتركت لانجلترا حرية أكثر مما كان لها قبلا فى الشؤون المصرية . وقد وافقت ألمانيا والنمسا وإيطاليا على هذا الاتفاق .

وفى ٢٨ نوفمبر صدر ديكريتو يؤيد هذا الاتفاق .

وكان من نتيجته فضلا عن فشل فرنسا فى مسألة فاشودة أن تحقق المصريون أنه لا يمكن الاعتماد على فرنسا فى أي أمر يتعلق بالمسألة المصرية .

وكان عند الشاب المصرى المملوء وطنية والذى كان يسير وراء الخديو المتحمس لبلاده أمل فى مساعدة فرنسا لمصر ضد الاحتلال ولكن عندما وقعت مسألة فاشودة قل هذا الأمل وتوجس من فرنسا حتى إذا ما كان إتمام هذا الاتفاق أفقنا كلنا من سباتنا وعلمنا أن لمصر أن تعتمد على نفسها فقط دون مساعدة أى دولة أخرى لأن كل دولة تضحى بكل مصلحة لأى بلد آخر ، ولو كانت على حق ، مقابل مصالحها الخاصة .

**فضائح فوضى الرتب** . لم تكد تنتهى مسألة مدام آدام حتى عادت مسألة الرتب تثير فى الجو سحباً كثيفة ...

ولقد تحدثت عن فوضى الرتب فيما تقدم ، وذكرت ما كنت أخشاه من تحرك الانجليز لمخاصمة الخديو فى شأنها . وقد حدث ما توقعت هذا العام ؛ ذلك أن الخديو

ظل يدون فى مذكرته أسماء المرغوب فى الانعام عليهم ، حتى انتهى شهر مارس ، فأخرج مذكرته وأخذ يملي على عزت بك بعض أسماء من بينها نديم افندى الذى كان موظفاً فى ديوان الأشغال وفصل بسبب الاختلاس ، وطلب له الرتبة عبد القادر حلمى باشا ، مع أن القرار الذى يقضى بفصله أصدره مجلس النظار وبرياسة الجناب الخديوى . فلم يفطن الديوان الخديوى إلى ذلك فنشر اسمه فى الوقائع الرسمية فثار السير جارستن وكيل الأشغال وأبلغ الأمر لكرومر الذى كلف بطرس غالى باشا بالغاء الرتبة ؛ وكان الخديوعندئذ يثق به كثيراً ويشاوره فى كل أمرهام ، وبعد البحث تقرر أن تلغى الرتبة بطريقة خفية ، وذلك بأن يعلن أنه حدث خطأ فى الأسماء ، ويعاد نشرها مع حذف اسم نديم ، وقد تم ذلك !

وما كاد يسدل الستار على هذه الفضيحة حتى تلتها أخرى من نوعها تماماً ، تلك أنه أنعم على أشخاص من بينهم ابراهيم افندى لمعى الذى كان موظفاً فى « الضربخانة » دار السك ، وفصله وكيل المالية لتداخله فى مسألة المطبعة العثمانية ، فقصد الوكيل إلى كرومر شاكياً ، فطلب اللورد سجل هـذا الموظف ، وطلب من دومرتينو باشا أن يتفاهم مع الخديو فبعث إلى المنتزه بالأمر فأرسل الخديو برقية بالانتظار مساء ، وبأن يكون بطرس باشا فى القبة ؛ ولما اجتمعنا تباحثنا فى الأمر ، وتقرر إلغاء بعض الرتب ؛ وعلمت أثناء الحديث أن الانجليز يستغربون أن يكون هذا خطأ فقط ، ويشيرون إلى أن فى إمكانهم أن يقدموا تقريراً عن الأموال التى دفعها العمد وغيرهم لنيل هذه الرتب على يد الوسطاء ، ولمحوا إلى سحب امتياز إعطاء الرتب إذا تكررت هذه الأخطاء .

وكان من جراء ذلك أن أخذت الصحف المعادية كالمقطم والبروجريه تنشر فصولا شديدة اللهجة ؛ وكانت فضيحة أكبر من الأولى .

**فى العائلة الخديوية** . منذ ثلاثة أعوام حدث بين البرنس جميل طوسون وقرينته البرنسيس نعمت الله هانم افندى شقاق أدى إلى الطلاق فعادت البرنسيس من الاستانة إلى مصر ، وقدم البرنس فى هذا العام اليها بعد أن عرف من وكيله بها أن البرنسيس تميل للرجوع اليه ، ولا سيما بعد أن أخذ ابنه منها بمجرد بلوغه السابعة فبرح بها الألم لفراق نجلها .

وكان البرنس يعتقد أنه بمجرد حضوره إلى مصر مع الصبي ورؤية والدته له ،

فانها تقبل العودة اليه مباشرة .

وكان الخديو وقت قدوم البرنس فى المنتزه ، فأرسلت دولة الوالدة تخبره بحضوره والتماسه ؛ وعندئذ استدعانى جنابه حيث وجدت معه عزت باشا وألماس الباش أغا ، فأمرنا بالتوجه للقاهرة ومقابلة البرنس والمفاوضة معه فى هذه المسألة وأن نطالب اليه الموافقة على الشروط الآتية :

(١) أن تكون العصمة بيد البرنسيس .
(٢) أن تكون دائرتها منفصلة عن دائرته .
(٣) ألا تقيم معه فى أوربا .
(٤) أن ينشر فى الجرائد خبر رجوعه اليها ، لمحو ما كان قد كتبه قدحا فيها .

ولما عرضنا على البرنس هذه الشروط ، قال إنه يرغب الرجوع إلى البرنسيس بدون شرط ، فأفهمناه تعذر ذلك ؛ واقترحنا عليه أن ينتظر ريثما يحضر الخديو إلى القاهرة فيقابله ويطلب منه الصفح . وكان قد طلب الزيارة فى الاسكندرية فرفض الخديو لأن البرنس لم يزر سموه فى فينا وقت أن كان بها فى صيف العام الماضى ، وأخيراً أرسل البرنس إلى الخديو برقية يطلب فيها الصفح والموافقة على الزواج وتعهد بقبول الشرط الرابع وهو النشر فى الصحف ، وأعد ثلاث برقيات لذلك وقد أردنا أن نعرف رأى البرنسيس ، ففهمنا أنها ميالة إلى العودة دون الشروط المذكورة ؛ ولكن الخديو رفض وفقط عدل الشرط الأول بأن تكون العصمة فى يد سموه ؛ فأبلغنا ذلك للبرنس ؛ وبعد قليل حضر وكيله وقال إنه سيقابل البرنسيس شخصياً ، فذهبنا اليها ؛ وسألها عما إذا كانت حقيقة تريد أن تكون العصمة بيدها أو بيد سمو الخديو ؛ فأجابته : « نعم أطلب أحد الأمرين » وعندئذ قال بلهجة جافة : « إن البرنس جميل يرفض . »

وقد كان هذا الرد سبباً فى استيائنا جميعاً ؛ وقالت البرنسيس : « ولماذا إذاً كان السؤال ؟ . » وبذلك انقطعت المفاوضات .

**سخط الخديو على حسن عاصم باشا .** غضب الخديو على حسن عاصم باشا وذلك لاعتقاده أنه غير حريص على المصالح الخديوية ، وأنه بالعكس يعرقلها ؛ وسبب ذلك أن بيت زرفوداكى فى الاسكندرية ، اشترى من الحكومة حديقة وسراى الجيزة

وجزءا من الأرض الزراعية التى أمامها على النيل ؛ ثم اتفق أن يستبدل أرض الوقف الواقعة بجوار الكوبرى الأعمى ، بتفتيش الخديو بمشتهر ؛ وكان سموه يرغب فى هذه الصفقة من ناحيتين : الأولى بيع تفتيش مشتهر والثانية الاشتراك مع زرفوداكى فى الأراضى التى تشترى من الوقف ؛ فطرحت المسألة على مجلس الأوقاف الأعلى وكان حسن عاصم باشا عضوا فيه بصفته رئيساً للديوان الخديوى ؛ وكان بيت زرفوداكى يقدر أرض الوقف بمبلغ مائة وثلاثين ألف جنيه وتفتيش مشتهر بمبلغ مائة وخمسين ألف جنيه ؛ ولكن حسن عاصم والشيخ المفتى طلبا العكس فى تقدير ثمنى الوقف والتفتيش وقال المفتى : « إن الأنفع للوقف فى مثل هذا إنما يعرف بتقدير الثمن لا بالغلة السنوية فلا بد من تعيين لجنة من أهل الخبرة برياسة باشمهندس الأوقاف لتقدير ثمنها وثمن أرض مشتهر . » وقرر المجلس الأعلى أن يدفع زرفوداكى مبلغ ٢٠ ألف جنيه زيادة حتى يكون ثمن التفتيش مائة وثلاثين ألف جنيه فقط فاغتاظ الخديو لذلك ، وزاد فى غضبه ما بلغه من دومرتينو باشا من أن كرومر قال إنه يحمد الله على وجود أشخاص ذوى مقدرة ونزاهة فى حاشية الخديو مثل حسن عاصم باشا ؛ ومن هذا اليوم أصبح الخديو والمتملقون فى الحاشية يتناولونه بالذم الشديد .

أما عذر حسن عاصم فى ذلك فهو أن الخديو لم يخبره برغبته حتى يعمل لتحقيقها من جهة ؛ ومن جهة أخرى فان المحتلين كانوا واقفين بالمرصاد لقرار المجلس ، ولو تم الأمر كغرض زرفوداكى ، فربما كانوا يطلبون نقضه . وهم يعتقدون فى الوقت نفسه أن الخديو يستخدم نفوذه لمصالحه الخاصة ؛ أما الآن فقد عرفوا نزاهة سموه ونزاهة رجاله ؛ ولكن هذا العذر لم يقبل لدى الخديو .

ومن هذا الوقت أحال الخديو علىّ كل الأعمال والمخابرات التى تحدث بينه وبين النظار وغيرهم .

ومما زاد العلاقات توتراً بين عباس وعاصم باشا أنه وردت برقية من الاستانة بالشفرة ، فأمر عاصم باشا بحلها ، وكان ذلك يوم الجمعة ، فبدلا من أن يذهب بها إلى السراى اكتفى بارسالها داخل ظرف للخديو ؛ فغضب سموه واستدعانى وهو محتد وقال : « كان عليه أن يرسلها مع أحد الموظفين حتى يتلقى الأوامر إذا كان هو لا يتنازل بالحضور بنفسه . » ثم أمرنى أن أتسلم أعمال القلم التركى وأعرضها على سموه ؛ فصرت أتلقى الأوامر بهذا القلم وأنفذها ؛ وأذكر أن سموه قال لى ذات يوم : « سبحان الله !

كان حسن باشا عاصم يريد أخذ الأشغال من يدك ، ولكنك قد أخذتها أنت منه ، ولم يبق عنده شيء يذكر . ، وقد علمت أنه ذكر مثل ذلك لآخرين من رجال المعية .

ومع هذا فقد لبثت علاقاتى الودية مع عاصم باشا ؛ ولم أتجنب مقابلته أو الجلوس معه كما فعل كثيرون غيرى ؛ وقد سلك احمد خيرى باشا مسلكى معه .

**يوسف طلعت باشا ووالده** . رفع يوسف طلعت باشا شكاية من والده أحمد طلعت باشا رئيس الديوان الخديوى فى عهد اسماعيل لأنه يريد حرمانه من الميراث فى أمواله ، بالاتحاد مع شقيقه أحمد طلعت بك ووكيل الدائرة مختار بك ؛ وذلك بوقف أملاكه غير الموقوفة ، وإخراجه منها وإقامة أحمد طلعت بك ناظراً عليها ومن بعده شقيقة له ومن بعدها أولادها من عبد اللطيف باشا ، فكأن ثروة بيت طلعت ستنتقل إلى بيت عبد اللطيف .



يوسف طلعت باشا



احمد طلعت باشا

ولما علم يوسف باشا اتحد مع شقيقته الكبرى وعزما على طلب الحجر على والدهما حتى لا يتمكن من وقف أملاكه . ولما علم الخديو بذلك لم يسترح إلى فكرة الحجر لما فيها من المساس بكرامة هذه الأسرة الكبيرة .

وكلفنى بالمخابرة مع المحافظ لعمل ما يلزم لحفظ أموال طلعت باشا لأبنائه مع

حفظ كرامته كذلك ؛ وأمر عزت بك أن يذهب للقاضى ويرجوه عدم الموافقة على الوقفية إلا بعد التحقق من وجود الباشا فى صحة تؤهله لعملها ؛ وبذلنا مسعى لدى أحمد طلعت بك لاستبدال الوكيل ، وهو صاحب فكرة الوقفية . ولكن هذا المسعى لم يفلح ، وانتهى الأمر بادخال يوسف طلعت باشا بالوقفية بشروط .

*سفر الخديو الى أوربا ثم الاستانة وسفرى مع الحرم .* سبق أن سافرت الوالدة إلى الاستانة ومعها عزت بك ، وقد انتظرنا الأخبار التى يرسلها ليتخذها الخديو أساساً لخطة سفره ، والقيام بالزيارة إذا كان الجو ملائماً لها .

وفى أوائل يونيو جاءنا منه أنه حادث الباشكاتب فى شأن يالى جبوقلى ، فأخبره بأن عقود الملكية تحت يده ، ولا ينقص إلا إذن السلطان بتسليمها ، وأن سبب تأخير صدور أمر السلطان هو تكدر خاطره من الخديو ، بسبب مسلك الصحف التى تصدر فى مصر نحو جلالته ، ولما بلغه من أن الخديو يقدح فى الادارة التركية بالحرمين ، ويقول بأن هناك صعوبات فى سبيل الحجاج ، وكذلك لأجل مسألة سكة حديد مريوط التى ينوى الخديو مدها وبيعها للانجليز .

فلما وردت هذه الأخبار ، سألنى سموه عن رأيى فى مسألة السفر فاستحسنت عدم زيارة الاستانة هذا العام ؛ وعلمت منه أن دولة الحرم تريد قضاء الصيف بالاسكندرية فأجبته بأن لا مانع من ذلك ، إذا وافق رأى سموه . وظننت بادىء الأمر أنه موافق على ذلك ، ثم تبينت بعدها أنه مصمم على السفر . ولكن جاءت رسالة من عزت بك يقول فيها إنه يستصوب عدم السفر للاستانة ، وأن الصدر الأعظم أفهمه ذلك وهنا قال سموه : « كيف أتأخر ، وقد علم النظار بالأمر وكذلك اللورد كرومر ؟ وفى تأخرى ما يفيد أن العلاقات بينى وبين السلطان ليست مرضية وهذا ما لا أريده بحال . » ثم كلفنى بالتفاهم مع بطرس غالى باشا فى حل مناسب دون أن يعلم بذلك أحد غيره ، فقلت لسموه : « إن الأفضل أن بطرس باشا نفسه لايعرف فكر سموكم . » وأيدنى فى فكرتى محمود بك صادق أحد موظفى السراى ، وكان حاضراً ؛ فقال الخديو : « إذاً ماذا أصنع وأنتم لا تشيرون علىّ بحل؟ » ففكرت قليلا ثم عرضت على سموه أن يقول بأن أخبار الاستانة تفيد أن جلالة الخليفة دعا أمير البلغار للزيارة ، وقد يتفق وجوده مع وجود سمو الخديو ، ويؤثره السلطان بحفاوة أكثر ، وهذا مالا يريده الجناب العالى ، ولذا عدل عن الزيارة . فاستحسن سموه هذا الحل وكلفنى باخبار رئيس النظار وبطرس باشا

فذهبت إليهما، وسألني الرئيس عما إذا كنا قد أخبرنا يلدز بالعزم على السفر قبل الآن، لأنه لو كان الأمر كذلك فلا يحسن التخلف، فأجبته بالنفي، فوافق على الفكرة وكذلك بطرس باشا.

سفري مع الحرم: وقد تقرر بعد ذلك أن تسافر دولة الحرم إلى الاستانة، وأن أكون برفقتها. وفي يوم ١٨ يونيو نزلنا إلى المحروسة؛ وبتنا بها وفي الصباح أقلعت بنا بعد تلقي التعليمات من الخديو؛ وخلاصتها أن المحروسة حينما تدخل الاستانة تهدىء السير أمام ضولمة بغجة، ويؤدي البحارة التحية، وإذا حضر أحد من السراي للاستقبال على زورق أو حضر زورق الوالدة، فلا تقف المحروسة بل تستمر في السير حتى جبوقلي خوفا من أن يلدز ترسل أخيراً بعدم النزول في اليالي والنزول في بيك، وأمرت كذلك بأن أقابل الصدر الأعظم فريد باشا وأبلغه تحيات سموه وشكره على إحساسه نحوه.

هدية الخديو للسلطان: وأرسل الخديو معي جمجمتين للحيوان المسمى «جاموس البحر» في صندوقين، ومنبراً مطعما على الطراز العربي، هدية من سموه للسلطان. وقال لي إنه عند سؤال تحسين بك عن السبب في تخلفه أجيبه بأن السبب هو الدسائس الأخيرة التي كثرت ضد سموه.

سفر الخديو لأوربا، ووصولنا الاستانة: وأما سموه فقد سافر بعدنا بيوم واحد إلى ديفون لأخذ الحمامات.

وقد وصلنا إلى جناق قلعة يوم ٢٢ منه؛ وفي صباح اليوم التالي وصلنا الاستانة ومنها إلى جبوقلي، وحضر القزلر أغاسي والباشمصاحب فأبلغا دولة الحرم تحية الوصول من قبل السلطان. وبعد قليل خرجت دولتها ونزلت في الزورق رهير مع الأنجال إلى بيك، للسلام على الوالدة ثم عادت لجبوقلي.

وبعد الغداء توجهت مع عزت بك إلى يلدز لمقابلة تحسين بك فلم يتح لنا ذلك، مع وجوده في غرفته، فنزلنا إلى دائرة المابين فوجدنا نوري باشا، فرجوته أن يعرض على السلطان إخلاص الخديو، ثم عدت إلى بيك وأبلغت الوالدة تقبيل الخديو ليديها.

الوالدة والحرم في التياترو الخصوصي: وفي ٢٥ يونيو دعا السلطان الوالدة والحرم، فقابلتا جلالته وأمر لهما بدخول التياترو الخصوصي، ولكنه لم يسألهما عن الخديو إلا

عرضاً ، مما دل على تكدر خاطره بسبب الدسائس ؛ وقد كتبت الحرم بذلك خطاباً إلى عباس .

مقابلتى لتحسين بك : وفى ٢٦ منه حررت مذكرة صغيرة ، بعثت بها إلى الباشكاتب وقلت فيها : « إن حضورى للمقابلة كان لمهام رسمية لا لاحراجه بشىء . » وذلك لكى أبلغه أولا — أننى معين لمرافقة دولة الحرم . ثانياً — إبلاغ جلالة السلطان تحية الجناب العالى وإخلاصه . وثالثاً — للاتفاق معه على ما يجب إجراؤه فى تقديم هدية من الخديو للسلطان .

فجاءنى الرد منه بطلب المقابلة ، فقابلته يوم ٢٧ منه فاعتذر بأنه كان مشغولا ، ثم اتفق معى على إرسال الهدية فى عربة إلى سراى يلدز ، ففعلت .

سفرى لفينا : وفى ٨ يوليو دعيت لمقابلة الخديو فى فينا ، فسافرت إليها ووصلت فى العاشر منه ، فقابلته وحدثته عن الحالة فى الاستانة بما تقدم ، وكان سبب استدعائى هو السفر إلى مصر لمعرفة حالة العمل فى سكة حديد مريوط والأدوات اللازمة خصوصاً الفلنكات التى كان يعتزم سموه شراءها من تركيا .

رجوعى للاسكندرية : فسافرت من فينا إلى باريس ، ثم أبحرت من مرسيليا فوصلت إلى الاسكندرية يوم ١٩ بعد رحلة مكدرة فأبلغت تحية الخديو لفخرى باشا نائب القائمقام ، ولبطرس غالى باشا ومظلوم باشا وعبانى باشا ، وكانوا بالاسكندرية .

وقد بقيت بمصر أباشر الأعمال فى سكة حديد مريوط ، وشغلتنى عن كل أمر آخر ، فلم أقيد مذكراتى مدى شهر أغسطس ومنتصف سبتمبر .

رجوعى إلى فينا : وفى ١٧ سبتمبر سافرت من الاسكندرية إلى تريستا ، فوصلتها يوم ٢١ منه وقضيت بها بضع ساعات مع صديقى سوسيك بك أحد موظفى المالية السابقين ، وتجولت فى المدينة . ثم ركبت القطار إلى فينا فوصلتها صباح ٢٢ سبتمبر ، وتقابلت مع الخديو فى الفندق ، فسألنى عن نتيجة الأعمال الجارية وعن مجرى الشئون فى مصر ، ومن بينها دعوة محمود فهمى باشا إلى الاحتفال يوم ٣١ أغسطس الماضى بعيد جلوس السلطان مع أنه ليس من المقيمين فى الاسكندرية ، وعما إذا كان حسن عاصم هو الذى وجه إليه الدعوة لتدخله معه واتفاقه ، فأجبت سموه بأنى أنا الذى دعوته على مسئوليتى ، وعندئذ قال لى سموه إذا كان الأمر كذلك فلا بأس .

وكان سمو الخديو قد كلفنى أن أقابل خيرى باشا ، وأكلمه بشدة فى شأن اتصاله بعاصم باشا ، كما بلغ الخديو ذلك ؛ وأن سموه مستاء لوجود رجال فى معيته يصاحبون من يغضب سموه عليهم .

وقد كانت مأموريتى شاقة ، لأن خيرى باشا صديق ، ولكننى تلطفت فى إبلاغه ملاحظات الخديو ، فطلب منى أن أجتهد لدى سموه فى نفى ما علق بنفسه من جهته ، وأن أذكر لجنابه أنه ليس غبياً ، حتى يميل لحسن عاصم ، ويترك الخديو صاحب الأيادى البيضاء عليه .

وقد قمت بتبليغ ذلك للخديو ، ونجحت فى تطييب خاطره من ناحية خيرى باشا .

زيارة الخديو للغازى مختار باشا : وفى ٢٣ سبتمبر أرسل الغازى احمد مختار باشا — وكان وقتئذ فى فينا — بطاقة كتب عليها أنه طريح الفراش ، فهو يتأسف لعدم تمكنه من زيارة سموه .

وعندئذ أوفدنى الخديو إليه للسؤال عنه ، وقال لى : « إنه إذا كان الغازى مريضاً حقيقة ، فانى أتوجه لزيارته . »

وقد ذهبت إلى الغازى ، فوجدته مريضاً طريح الفراش ؛ ولما أخبرت الخديو بعد رجوعى قام بزيارته ، وأنا بصحبته ؛ وقد تأثر لحالة الغازى وأظهر عطفه عليه ، فقبل دولته هذا العطف بالشكر .

وقد مكث معه نحو نصف ساعة ، وأخبره بأنه سيصحب معه إلى الاستانة بطرس غالى باشا ، وكان قد حضر إلى فينا صباح اليوم .

وكان الغرض من إخباره أن يبلغ المابين بذلك أن يكون معلوماً للسلطان أن بطرس باشا سيكون بمعية الخديو ؛ وكانت هذه هى أول مرة يصحبه فيها للاستانة .

سفر الخديو للاستانة : وكان سموه قد استدعى عزت بك من الاستانة إلى فينا فى أثناء غيابى ، ثم كلفه عند عودته أن يراقب الحالة ، ويفيده عما إذا كان الجو مناسباً للزيارة . وبعد رجوعه بعث برسالة يقول فيها بأنه لا مانع من الزيارة ، وأنه تفاهم مع الصدر الأعظم والباشكاتب فى ذلك .

وفى يوم ٢٥ سبتمبر ، ركب الخديو قطار العصر إلى بودابست ؛ وأرسل إلى

قنصل جنرال الدولة فى بودابست برقيـة يرجوه أن يبقى فى القنصلية مساء ، حتى يقوم بالتأشير على جوازات السفر ، ثم أرسلت إليه الجوازات .

رسالة ودية من ملك الانجليز للخديو : وفى أثناء الطريق أخبرنى الخديو أنه كان قد كتب رسالة لملك الانجليز ، فجاءه رد رقيق ، وفى ديباجته : « صديقى العزيز » ، وقال جنابه : « إن هذا شىء يدعو للألفة التى يعمل لها الانجليز . » وكان يلوح عليه السرور وهو يحدثنى بذلك ، وقال : « إنهم حقيقة يبذلون الجهد فى اجتذابى إليهم . »

الوصول للاستانة : وصلنا إلى الاستانة يوم ٢٧ قبيل الظهر ، وكان على المحطة ابراهيم باشا التشريفاتى والفريق حسنى باشا ، من قبل السلطان ، وعزت بك وقومندان المحروسـة وكاوتسكى بك وغـيرهم ، فركبنا العربات إلى يلدز ، وكان بانتظارنا فى « شاليه كشك » الحاج على باشا الباشمابينجى وسعيد باشا رئيس شورى الدولة ، وقد جلس أمام سموه على المائدة .

الخديو والمعية فى حضرة السلطان : وبعد الغداء طلب الخديو لمقابلة السلطان ، ومكث عنده ثلاثة أرباع الساعة ، وخرج مسروراً من حسن استقبال جلالته لسموه وحفاوته به .

ثم طلب السلطان تقديم الحاشـية ، فدخل ثانية وقدم بطرس باشا قائلا إنه من عبيد مولانا المخلصين ، فقال السلطان لبطرس باشا : « إننى سمعت بمدحك وممتن من زيارتك للاستانة . » ثم قدمنـا أنا واحمد زكى باشا السر تشريفاتى وعزت بك ، فقبلنا الأعتاب .

وبعد ذلك خرجنـا إلى بيك ، وقد أمرنى الخـديو أن أبقى فيـه للمبيت مع بطرس باشا ، وعاد هو والمعية إلى جبوقلى ، بعد أن شكر ابراهيم باشا ؛ وقال إن وجوده فى استقباله دليل رضاء السلطان .

حديث السلطان والخديو فى هذه الزيارة : وقد علمت من الجنـاب العـالى أن السلطان تحادث معه فى مسألة مقدونيا ، وأن الثوار بها أخذوا يتحركون بتشجيع بلغاريا ، وأن هذه الدولة تستعد خفية للقتـال ، فتشترى المدافع السريعة وغيرها ، ولـكن الدولة واقفة على حركاتها وتدابيرها ، وتتخذ احتياطاتهـا لكل الطوارىء ، وتشترى السلاح والذخيرة . وقال السلطان أيضاً إنه أوصى على جملة مراكب « طوربيدو » ؛ لأن المراكب الـكبيرة لا تنفع فى الحرب مثل الخفيفة السريعة ، كما تبين من الحروب الأخيرة .

وتكلم مع سموه أيضاً فى مسألة موت السلطان مراد ، ودحض ما قيل من أنه توفى مسموما ، وأنكر كل ما أذيع عن سوء معاملته له ، وبالاختصار تبرأ من كل ما نسب إليه فى ذلك .

وفى صباح ٢٩ منه أرسل السلطان ابراهيم باشا للسؤال عن الخديو ؛ وحدث التزاور كالمعتاد بين سموه والسفراء .

الانعام على كريمتى الخديو : وفى ٣٠ منه كانت دولة الحرم مدعوة للسراى ، وقد ذهبت معها الأميرتان عطية الله هانم وفتحية هانم كريمتا الخديو بناء على رغبة السلطان ، فأنعم على كل منهما بنيشان شفقت من الدرجة الأولى ؛ ولم يرض الخديو أن يرسل ولى العهد ، لأنه لا يرغب أن يمنح شيئاً وهو صغير لئلا يتوهم أنه أصبح عظيما ، فيأخذه الغرور .

مأدبة عشاء فى يلدز : وفى أول أكتوبر دعى الخديو إلى مأدبة عشاء فى يلدز ومعه بطرس غالى باشا واحمد زكى باشا وعزت بك وأنا ، فتوجهنا بالكساوى والتشريفة والنياشين إلى كشك شاليه ؛ فدخل الخديو لدى الخليفة ؛ ووقف كل منا أمام كرسيه حتى حضر السلطان والخديو ، فجلس عن يمين جلالته والصدر عن يساره ، ودعى رئيس شورى الدولة ومستشار الصدارة والحاج على باشا وعزت باشا ونورى باشا وتحسين بك وفائق باشا الميراخور وقائمقام بحرى أمريكى الجنس ورجال التشريفات ؛ وكانت الموسيقى تعزف أثناء الطعام وبعده .

وقد لاحظت فى هذه المأدبة أن غطاء المائدة والمناشف والفوط ، لم تكن مكوية ، وبها بعض القذر ، وأن بعض الشوك والملاعق اعتراها شيء من الصدأ ؛ وكان الطعام عادياً غير معتنى باعداده ؛ وعند الخروج قال السلطان للخديو إنه سيدعوه إلى التياترو غداً . وفى ٧ منه سيعمل له استعراض للجيش التركى ؛ ولما كان سموه ينوى السفر يوم ٥ منه فقد تكدر لذلك واحمر وجهه .

بين بطرس باشا وناظر خارجية الدولة : وتحادث بطرس باشا مع الصدر فريد باشا وناظر الخارجية ، وفى أثناء حديثه مع الأخير ، سأله بطرس باشا عما إذا كان قد زار مصر فقال الناظر : « إننى أمضيت عمرى فى السفارات الأوربية ولم أعرف آسيا . » كأنه يحسب أن مصر فى آسيا !

مأدبة ثانية فى يلدز ومشاهدة التياترو : وفى ٣ اكتوبر دعينا لمأدبة فى السراى وبعدها دعينا للتياترو ؛ ثم خرج الخديو فجلس مع الصدر ؛ وحادثه الصدر فى أنه عمل كل مايجب لتصفية العلاقات بين جلالة الخليفة وبين سموه ؛ فشكره على حسن مسعاه . ثم حضر ابراهيم باشا وسأل الخديو عما يريد أن ينعم به السلطان على رجال معيته ، لأن ذلك من حق جنابه ؛ فطلب المجيدى المرصع لمصطفى فهمى باشا وبطرس غالى باشا ، والجراند كوردون مجيدى لأحمد زكى باشا ولعزت بك ولى ؛ وطلب ثمانين مدالية فضية وعشر مداليات ذهبية لبحارة المحروسة .

فذهب الصدر للخليفة ، ثم عاد فأعلن موافقة جلالته على هذا الطلب ، وصدور أمره بهذه الانعامات .

وشاية ضد الباشكاتب : وفى صباح اليوم التالى توجهت بناء على طلب الباشكاتب فقال لى : « إن السلطان متكدر جداً لما بلغه من أحد الواشين أنى لم أقابلكم مقابلة حسنة وأننى رفضت رؤيتكم ؛ فأرسلت لك اليوم لأعاتبك على ذلك . » فأكدت له أنه لم تصدر منى أية شكوى فى حقه ، وطلبت منه عرض ذلك على السلطان . وبالفعل توجه ، وبعد ساعتين عاد فقال لى : « إن الخليفة لم يصدقنى فأرجوك أن تكتب معلوماتك فى هذا الموضوع . وقد فهمت من حديثه أن الذى ألقى هذه الوشاية هو حسنى باشا مهمندار الخديو ، وكنت أعلم أن الخديو ميال إلى تغييره فقلت لتحسين بك : « ولماذا لم تعينوا بدله فى مهمته . » فقال : « لأنه تعرف بالخديو وربما لا يود سموه تغييره . » فأجبته : « ما دام قد تحقق لكم كذبه فلا داعى لوجوده حتى تنقطع الدسائس . »

وكتبت مذكرة قصيرة تتلخص فى : « أننى لما حضرت للاستانة فى معية الحرم الخديوى لم أحضر عند الباشكاتب إلا مرتين : الأولى ، كان دولته فيها مشغولا فلم أتمكن من لقائه . وفى الثانية قابلنى بلطف وإننى أعترف بأنى لم أجد من دولته إلا كل معاملة حسنة . »

وقد ترجم هذه المذكرة بالتركية وأبدى لى سروره وارتياحه ، وتوجه للعرض على السلطان وبعث لى بأن لا داعى للانتظار .

ثم أخذت النياشين والمداليات وذهبت بعد أن أعطيت — كالأمر — الخدم الذين حملوها مكافأة ، وعدت إلى الخديو فحدثته بما جرى فاستغرب هو وبطرس باشا من أن الباشكاتب مع مكانته السامية فى المابين يحتاج لمثل هذه الشهادة لدى الخليفة .

مأدبة الوداع وهدية السلطان للخديو : وفى اليوم الخامس من اكتوبر ذهبنا إلى يلدز للوداع وحضرنا مأدبة للغداء ، وقد أهدى السلطان للخديو أزرارا للقميص من البرلنت وأهدى إلى بطرس باشا علبة سجاير من الذهب نقش عليها بالبرلنت الحرفان « ع . ح » بشكل زخرفى رمزاً لاسم عبد الحميد ، فجهر بالدعاء لجلالته . وتحدث الخديو مع السلطان فى مسألة دير الأقباط بالقدس وهى مسألة تهم بطرس باشا ، ولما خرج أخبره بذلك ، وبأن الخليفة وعده بأنه سيكون دائما مع الأقباط فشكر لجلالته ذلك العطف .

العودة إلى مصر : وبعد ذلك رجعنا إلى جبوقلى ثم ركبنا المحروسة عائدين إلى مصر فوصلنا الاسكندرية فى صباح ٨ اكتوبر .

وقد كان فى الاستقبال نخرى باشا وعبانى باشا وابراهيم فؤاد باشا والمحافظ محمود صدقى باشا .

**علاقات الخديو مع الانجليز .** أسرعت المحروســة فى السير بين رودس والاسكندرية بناء على نصح بطرس باشا للخديو ، وذلك بقصد الوصول الى مصر قبل مصطفى فهمى باشا — وكان عندئذ فى طريق العودة من أوربا الى مصر — حتى يستطيع بطرس باشا أن يقابل اللورد كرومر قبل رئيس النظار ، لأنه كما قال بالنص يريد أن « يوضبه حسب المرغوب . » ولما حضر مصطفى فهمى باشا يوم ١٠ اكتوبر قابل الخديو فابلغه إنعام السلطان عليه بالمجيدى المرصع ، ثم أخبره بأنه ، أى سموه ، غاضب على مصطفى كامل باشا لطعنه الجارح على الحكومة ، وزاد بأنه لا يزال يذكر الحفاوة التى لقيها فى لندره ، وأنه سيزورها كل عام ، فخرج وهو مسرور بحديث الخديو .

وكان ذلك كله بقصد أن يبلغ رئيس النظار هذا الكلام إلى اللورد عندما يقابله ؛ وفى ١١ اكتوبر عاد بطرس باشا من القاهرة وقص علينا نبأ مقابلته للورد ، وأنه حكى له ما حدث فى الاستانة أثناء زيارة الخديو ، والاستقبال الفخم الذى لقيه والانعام عليه هو ورئيس النظار وهدية السلطان له قال : « وكنت أتوقع أن يغضب اللورد لذلك . ولكنى على العكس وجدت منه ارتياحاً للحديث . » ثم قال : « إن مصطفى فهمى باشا أبلغ اللورد حديث الخديو فسر منه . وبالأخص لما علم من سخطه على مصطفى كامل ؛ ولكن قال له اللورد إنه علم أن الخديو لا يعود للقاهرة إلا فى منتصف نوفمبر ، وربما أول الناس ذلك بأن سموه لا يرغب حضور استعراض الجيش الانجليزى يوم ٩ نوفمبر لمناسبة عيد ميلاد الملك . » وبعد المباحثة فى هذا الموضوع تقرر أن يرجع الخديو قبل الاستعراض ،

وأن يطل من شرفة عابدين كما كان يفعل والده .

بين الخديو وكرومر : وفى ١٢ منه جاءت برقية من اللورد كرومر يطلب موعداً للمقابلة ، فعرضت على سموه أن يدعوه للغداء يوم حضوره فوافق ، وبذلك كتب له زكى باشا برقيـة بأنه مخير فى الحضور يوم ١٥ اكتوبر أو يوم ١٧ منـه ، وأنه مدعو للغداء مع الجناب العـالى فجاء منه الرد بالشكر والقبول وأنه سيحضر يوم ١٧ منه على أن يعود فى نفس اليوم .

وفى اليوم المذكور حضر اللورد وكنت فى الانتظار مع زكى باشا فى محطة سيدى جابر ، وحضر مستر جولد قنصل انجلترا بالاسكندرية ؛ وقد ركب اللورد معنا فى القطار الخديوى الخاص بعد أن قدمنى زكى باشا له ولبثنا نتحدث حتى وصلنا المنتزه ، وكان الخديو بالسلاملك عنـد وصولنا فصافح اللورد باشاً . وبعد الاستراحة تناولنا طعام الغـداء ثم اختليا مدة سـاعة ؛ وعلمنا أن الحديث دار فيهـا حول زيارة الخديو للاستانة والحفاوة التى لقيها ؛ وبعد ذلك ركبا عربة وطافا ببعض جهات المنتزه وبعض أراضى التفتيش ؛ وقد سر اللورد من هذه الرياضة ، وقال : « الآن علمت لماذا يحب الخديو الاقامة فى الاسكندرية . »

وأخيراً استأذن شاكراً وودعه فى المحطة دومرتينو باشا .

مسألة استعراض الجيش الانجليزى : وفى ٢ نوفمبر تقـابلت مع بطرس باشا فحدثنى فى مسألة حضور الخـديو للاستعراض وأخبرنى بأن اللورد اتفق مع قومندان الجيش الانجليزى على أن يحضر سموه فى ساحة عابدين يوم ٩ نوفمبر عيد الملك ، ويستعرض الجيش أمامه ثم ينزل من عربته ويقف بجوار العلم الانجليزى ؛ وعندما تنتهى الحفلة الرسمية يركب الخديو جواده ويمر على الجنود فتحييه بالسلام الخديوى ، ثم يعود إلى جوار اللورد كرومر تحت العلم وتستعرض الجنود أمامه مرة أخرى وأخيراً تتقدم الجنود صفاً واحداً وتعزف السلام الملكى ثم السلام الخديوى .

وقد سألته : « ولـكن الخديو بنـاء على ذلك سيقف تحت العـلم الانجليزى وهو مالا تخفى دلالته . » فهز كتفيه وسكت .

ولمـا أخبرت الخديو بهـذا الترتيب فـكر برهة ثم قال بدون ارتياح : « طيب النزول من السراى والوقوف بجانب العلم أخف من رفع العـلم على عابدين . » فقلت لسموه : « إن بطرس باشا لمـا يعلمه من عدم استحسان سموكم الوقوف فى الشرفة لأنه

لامعنى له رأى أن الترتيب الأخير أفضل وربما أنه هو الذى أوعز به.. فقال: «ولكنى عندما أقابله سأقول له إنه هو الذى خسر المسألة!»

ولكن جنابه عاد فى ٣ نوفمبر فقال لى إنه بعد التروى رأى أن عمله سيكون موضع انتقاد من الشعب إذ سيقول عنه إنه صار انجليزياً، ولا سيما بعد سوء التفاهم بينه وبين مصطفى كامل باشا، وطلب منى أن أطلب بطرس باشا لمقابلته عند حضوره للاسكندرية.

وفى ٦ منه حضر بطرس باشا، فقابلته على المحطة، وفى الطريق حدثته عن أفكار الخديو، فقال إنه لم يكن ينتظر أن يهتم الانجليز إلى هذا الحد بمسألة وجود الخديو فى الاستعراض، لأن اللورد أخبره أنه استأذن جلالة الملك فى أن يأخذ الضباط السلام للجناب الخديوى فأذن؛ ثم قال: «ومع ذلك فاذا أراد سموه الوقوف فى الشرفة فقط فلا مانع؛ ولكن كرومر لايستحسن ذلك بعد ما تقرر.» ثم فكر برهة وقال: «وهذا هو الذى كان يريده مصطفى فهمى باشا منذ أعوام فلم يحصل عليه؛ وما دامت المسألة قد وصلت إلى هذا الحد فلنعمل ذلك اليوم مختارين قبل أن نعمله غداً مرغمين؛ وإذا أراد الخديو فى المستقبل أن يغير خطته فلا مانع عند اللزوم..»

واختلى بطرس باشا بالخديو نحو ساعة وبعد خروجه سألته عما تم فقال لى: «لقد استحسن الخديو كل شىء..»

وعدنا إلى القاهرة يوم ٨ منه وفى يوم ٩ حصل الاستعراض فى الساعة التاسعة والنصف صباحاً فى ميدان عابدين على التفصيل المتقدم.

وكان هذا أول حادث من نوعه فى عهد الخديو عباس حلمى.

تدخل الانجليز فى مسألة أمير الحج: وكان سموه قد كلفنى بمقابلة بطرس غالى باشا ليتحدث مع كرومر فى أن جنابه يرغب فى تعيين محمود حسنى بك — وهو بالمعاش — أميراً للحج هذا العام، وأنه تكلم مع السردار فى ذلك فوافق. ولما قابلت بطرس باشا علمت منه أن اللورد يرغب أن يكون أمير الحج عارفاً باللغة التركية ليستطيع التفاهم مع السلطات فى الحجاز اتقاء للمشاكل، وطلب منى أن أقابل محمود بك حسنى لأعلم ما إذا كان يعرف التركية، وعما إذا كان أصله تركياً فقابلته وعلمت منه أن معرفته بها قليلة وأن أصله من الأكراد.

فأخبرت بطرس باشا بذلك فسألني عما إذا كنت أعرف رجلا مستكملا هذه الشروط فذكرت اسم محمود فهمي باشا فوافق عليه وأردفه باسم محمود شكري باشا، وبعد ذلك عرضت على الخديو ما حصل فوافق على أن يكون محمود فهمي باشا مع محمود حسني بك وقد ذهبت لاخبار الباشا بذلك فقبل شاكراً، وتم تعيينهما الأول أميناً للصرة والثاني أميراً للحج.

*تركيا والحدود الغربية*. وبعد ذلك أرسلني الخديو إلى بطرس باشا لأخبره أنه بينما كان سموه في سيدي عبد الرحمن القريبة من مرسى مطروح، حضر عنده المأمور وأخبره أن الأتراك بنوا في السلوم التابعة لمصر مخزنين للمؤن بحجة أنه يصعب عليهم أن يصعدوا بها على الجبل المشرف على الميناء حيث تقع النقطة التركية، وأن مأمور العشور التركي نزل في الأراضي المصرية على بعد يوم ونصف من هذا الجبل الذي يعتبر حداً فاصلا بين مصر وطرابلس وجبي العشور من العربان مع أنهم في أرض مصرية.

وأمرني سموه أن أعطي مذكرة بذلك لبطرس باشا ليخابر اللورد كرومر فيها وأن رأى سموه أن ترسل مراكب تابعة لخفر السواحل لاحتلال بناء السلوم، وأن ينبه على سفن خفر السواحل بزيادة المرور على الميناء المذكورة، وأن تقام نقطة مصرية على مسافة يومين من مرسى مطروح تتألف من ملازم ثان وستة عساكر قبل أن يضع الأتراك يدهم على هذه الأراضي، لأنهم يعتبرون أن الحدود هي في أم الرخم التي لا تبعد عن مرسى مطروح بأكثر من ثلاث ساعات بالهجين، فمن اللازم الاسراع بعمل الاحتياطات لحفظ حقوق مصر، ولو أخذت الدولة السلوم لخسرت مصر ميناء حربية هامة، هذا فضلا عن أنها أقرب طريق إلى واحة سيوه.

واقترح سموه إرسال هنتر باشا مدير عموم خفر السواحل والقائمقام دومريكر لعمل مشروع للحدود، يرسل لكرومر بعد الاتفاق عليه.

وقد تقابل بطرس باشا مع اللورد وحدثه في ذلك فشكر الجناب الخديوي، ووافق على ذلك.

ثم أبلغني بطرس باشا أن الحكومة المصرية احتجت لدى تركيا على هذا الاعتداء، وأن كرومر أوعز إلى سفير انجلترا في الاستانة بالاحتجاج لأن الضابط العثماني قال للمندوبين المصريين إنه عمل ذلك بناء على أوامر الدولة غير أن مصر احتلت أرضها.

**قطع العلاقات بين مصطفى كامل وعباس .** كانت أسباب الخلاف تشتد بين الخديو ومصطفى كامل شيئاً فشيئاً (١) . ولما ثارت قضية زواج صاحب المؤيد ، وعمل الخديو لتأييده من وراء الستار ، زاد نفور مصطفى كامل من خطة الخديو . فلما سافر سموه إلى ديفون هذا العام زاره هنالك مصطفى كامل ، وصارحه برأيه فى مضار هذه الخطة ، وبين له أن الرأى العام لا يعطف على الشيخ ، ثم حدثه فى أمور أخرى من هذا القبيل وكان حديثه للخديو بلهجة شديدة ، فغضب الخديو وغضب مصطفى كامل أيضاً . فلما عاد الثانى إلى مصر ، اعتزم قطع العلاقات بينه وبين الخديو فأرسل لى الخطاب التالى لتسليمه للخديو (٢) :

« مولاى . تشرفت فى ديفون بالمثول بين يدى سموكم يوم ٢٧ أغسطس الماضى ورفعت إلى مقامكم السامى أن الحالة السياسية الحاضرة تقضى على بأن أكون بعيداً عن فخامتكم وأن أتحمل وحدى مسئولية الخطة التى اتبعتها نحو الاحتلال والمحتلين منعاً لتكدير خاطركم الشريف ودفعاً لما عساه يقع من الخلاف والنزاع وقد رأيت يامولاى بعد التفكير أنه صار من المحتم على القيام بهذا الواجب وأنه أول عمل يلزمنى تأديته عقب عودتى إلى الوطن العزيز لأن الانجليز أظهروا فى خلال السنوات الأخيرة من التضييق على جنابكم العالى ما يجعل وجود رجل ينتقد سياستهم فى الصباح والمساء بجانب سموكم داعياً لاعتدائهم على حقوق ذاتكم السنية وحجة لتداخل جديد غير محمود .

وإنى ، بعد أن رأيت احتجاجهم على جنابكم الرفيع بمناسبة المقابلة التى تفضلت جلالة ملكة البرتغال بمنحى إياها ، ومعارضتهم العنيفة لفخامتكم بسبب الاستقبال الودى الذى نالته مدام جولييت آدام من لدنكم ، وتصريحهم بأن انجلترا لا تسمح لجنابكم العالى باكرام من يعاديها ، وادعائهم بأن كل ما يكتب أو يقال ضدهم موعز به من سموكم ، أعد نفسى مقصراً تقصيراً حقيقياً فى تأدية الواجب نحو مقامكم الرفيع إذا بقيت صلتى بسموكم على حالها وفضلة نعمة التقرب منكم على القيام بواجب تدعو اليه الوطنية والسياسة .

وإنى أرجو أن يعتقد مولاى ، حفظه الله ، أنى لم أقصد إلا محض خدمته بما قلته لسموه بشأن أولئك المفسدين الذين يلتصقون بالمعية ويضرون بها أكثر من أعدائها

---

(١) انظر صفحة ٣٤٧

(٢) وقد دامت الحال على ذلك حتى كانت سنة ١٩٠٦ حيث وقعت حادثة دنشواى فرجعت الصلات بينهما بوساطتى .

الظاهرين ويدخلون اسمكم الكريم فى كل حادث غير حاسبين للرأى العام حسابا غير ذاكرين أن عرش الخديوية هو البقية العزيزة لاستقلال البلاد وأنه يجب أن يكون على الدوام محاطا بالاحترام التام والاجلال التام ليقاوم القوتين المحاربتين له ألا وهما الاحتلال والزمان .

وإنه يحلو لى أن أبقى إلى آخر لحظة من حياتى خادما لتلك المبادىء الوطنية العالية التى كنتم سموكم أول الداعين اليها والمنادين بها وأن تزداد كل يوم اتساعا الهوة التى بينى وبين الذين ادعوا خدمة الوطن ليخدموا مصالحهم ثم انقلبوا عليه بلا خجل ولا حياء . وإنى أتشرف يامولاى بأن أرفع إلىسدتكم العلية واجبات الشكران على جليل التفاتكم وسامى رعايتكم وأقدم إلى المقام الرفيع أسمى ما يليق من التجلة والاعظام .

مصر فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٠٤ مصطفى كامل

**قضية زواج صاحب المؤيد .** كان من أهم حوادث هذا العام قضية زواج صاحب المؤيد . ففى آخر ربيع الثانى سنة ١٣٢٢ عقد عقد السيدة صفية السادات على الشيخ على يوسف بسراى الخرنفش بمنزل السيد محمد توفيق البكرى وتولى الوكالة عن الزوجة الشيخ حسن السقا ؛ فلما علم والدها السيد عبد الخالق السادات بذلك ، رفع دعوى بالتفرقة بين كريمته والشيخ على يوسف بعدم أهليته لها ؛ وتحدد لذلك جلسة ٢٥ يوليو بمحكمة مصر الشرعية ، ورأس الجلسة فضيلة الشيخ احمد أبىخطوة وحضر عن الشيخ على يوسف ، حسن بك صبرى المحامى ، وعن زوجه ، الشيخ محمد عزالعرب بك؛ وحضر عن السيد عبد الخالق السادات ، الشيخ عثمان الفندى .



السيد عبد الخالق السادات

وفى هذه الجلسة قضت المحكمة بالحيلولة بين الزوجين فاحتجت السيدة صفية علىذلك بعريضة أرسلتها لقاضى قضاة مصر ، وأرسلت صورة منها إلى ناظر الحقانية وفيها تقول : « إنها لا يمكن أن تقبل

تنفيذ حكم الحيلولة لبلوغها سن الرشد، ولأنها تزوجت من الشيخ على باختيارها وكفاءتها.»

وفى ٢٧ يوليو صدر قرار المحكمة بوقف السير فى الدعوى حتى ينفذ أمر الحيلولة السابق صدوره.

وتوجهت السيدة صفية إلى منزل الشيخ الرافعى؛ وفى الوقت نفسه طلب الشيخ على منه أن يتوسط لدى زوجته بالعودة إلى منزل والدها؛ ولكنها أبت ذلك رغم ماعرضه الشيخ الرافعى من أنه سيتوجه معها بمرافقة شيخ الأزهر والمفتى والشيخ حسونة النواوى ليضمنوا لها الراحة عند والدها.

فلم ترض بذلك قائلة إن والدها بعد أن قبل مكثها عند الشيخ الرافعى أشاع أنه لم يوافق على ذلك.

وفى ٢٨ منه اجتمع وكيل الحقانية وعثمان بك مرتضى والشيخ محمد بخيت والشيخ احمد أبو خطوة وقرروا تعديل قرار الحيلولة من ضرورة إرسالها عند والدها إلى إبقائها مع الحيلولة عند رجل مؤتمن؛ وحيث إن الشيخ الرافعى الذى هى عنده رجل مأمون؛ لهذا لم يروا مانعاً من بقائها طرفه. وبهذا حل الاشكال.

وكان يوم أول أغسطس محدداً للسير فى الدعوى فعقدت الجلسة برياسة الشيخ احمد أبى خطوة؛ وترافع الخصوم وكان النزاع قائماً فى هذه الجلسة على كفاءة المتداعين حتى يكون الزواج صحيحاً، أو عدم كفاءة الشيخ على يوسف حتى يكون فاسداً، وقررت المحكمة تكليف كل من المدعى والشيخ المدعى عليه، أن يثبتا بالطريق الشرعى ما يدعيانه فقرر وكيل المدعى عليه أن اسم موكله مقيد بدفاتر الاستحقاق فى أوقاف نقابة الأشراف فى سنة ١٨٩٧، ثم تأجلت الجلسة بعد ذلك الى ٦ أغسطس، لسؤال السيد على البيلاوى عن أساس قيد الشيخ على يوسف بدفاتر الأشراف.

وفى جلسة ٨ أغسطس حضر نقيب الأشراف بسوهاج، وقرر أن الشيخ على يوسف شريف علوىّ ينتهى نسبه إلى سيدنا ومولانا أبى عبد الله الحسين، وقال إنه عرف ذلك البيت من الشهرة العامة.

وأخيراً تقرر تأجيل الجلسة إلى ١١ أغسطس للتأمل وتقرير ما يرى، وفى هذه الأثناء ردد كثير من الصحف بأن الشيخ على يوسف والشيخ الرافعى لا ينفذان قرار الحيلولة وأن الشيخ على يتوجه فى ساعة متأخرة من الليل لمنزل الشيخ الرافعى ويخرج منه فى الصباح المبكر، وأن الملابس تؤخذ يومياً من منزل الشيخ الرافعى ويستحضر

بدلها من منزل الشيخ على ؛ وقد كتب وكيل السيد السادات خطاباً بهذا المعنى للشيخ الرافعى ، فاغتاظ الشيخ لذلك وثار ، وبلغ السيدة صفية ذلك فتأثرت وعوّلت على الخروج ؛ فكتب الشيخ إلى قاضى مصر الكتاب الآتى : « همت السيدة صفية بالخروج من المنزل فدافعتها ، ولكنها مصممة على الخروج متى تمكنت من ذلك ؛ وبما أنه لا يمكننى إقامة الحيلولة فأطلب من سماحة القاضى أخذها من منزلى » .

وفى جلسة ١١ منه صدر الحكم ببطلان عقد الزواج لأسباب ذكرت فى حيثيات الحكم ، أهمها قيمة نسب الشيخ على يوسف ، والفارق بينه وبين السيد عبد الخالق السادات من حيث المنزلة .

ولما كان السيد عبد الخالق السادات يركن فى هذه المسألة إلى الشيخ راضى الكبير توصل الشيخ على يوسف إلى استرضاء الأخير حتى أقنع الأول بقبول العقد ثانية للشيخ على يوسف على السيدة صفية السادات وقد تم ذلك .

**قاضى مصر التركى وديوان الأوقاف** . كان قد وقع خلاف بين قاضى مصر التركى وديوان الأوقاف لأنه قرر فى جلسة المجلس الأعلى محاسبة نظار الأوقاف فرأت المحكمة الشرعية أن ذلك من حقها فكتب القاضى إعلانا فى الوقائع الرسمية بأن نظار الأوقاف الخيرية والأهلية عليهم أن يقدموا الحساب فى آخر العام الهجرى لقاضى افندى فتدخلت الحكومة وكرومر فى المسألة خشية أن يعتبر القاضى حكومة داخل حكومة ، ولأنه ادعى أن له الولاية العامة الشرعية فى مصر ؛ وأرسل الخديو عزت بك إلى القاضى فأقنعه بسحب إعلانه ، ووعده بأن ينظر سموه فى الأمر ويسويه على ما يرضيه ، فقبل وكتب إعلانا آخر يسحب به إعلانه الأول فى ٢١ نوفمبر .

وفى هذه الأثناء أراد القاضى أن يقدم استقالته ، وكان فى عزم الحكومة واللورد كرومر قبولها وانتهاز هذه الفرصة لتغيير التقليد المتبع ، وتعيين قاض مصرى بدله ، وخوطب الخديو فى ذلك فقال إنه يرشح الشيخ حسونة النواوى ، فقيل له إن الشيخ عبد القادر الرافعى أهل لهذا المنصب فقال سموه نعم ولكن بعد الشيخ حسونة .

ولما رأى القاضى هذا الجو لم يقدم استقالته واكتفى بسحب إعلانه .

وقد أوقعت الحكومة مسئولية هذا العمل على الشيخ محمد بخيت . لأنه عاون القاضى فى إعلانه الأول ، فاتفق الرأى على فصله ، وأقنع بطرس اللورد بذلك فوافق

عليـه ؛ وكان فى هذا إرضاء للخديو وقد كان يسخط على الشيخ بخيت لأنه كان المحرك لمسألة الشيخ على يوسف وزواجه بنت السادات بحجة أنه ليس أهلا لها رغم علمه بأنه من رجال الخديو .

*تعيينى رئيساً للديوانين العربى والافرنجى* . فى ٢٧ ديسـمبر حضر إلىّ زكى باشا وأخبرنى أن الخديو عازم على إحالة حسن عاصم باشا إلى المعاش فى هـذا اليوم ، وأنه يأمرنى مع عزت بك أن نبحث عما إذا كان من المعتاد فى مثل هذه الحالة أن يصدر أمر عال أو لا .

وقد اتضح لى أنه لابد من الأمر فأخبرت زكى باشا بذلك وعرضه على الخديو ؛ وبعد الافطار بسراى القبة — وكنا فى رمضان وكان عاصم باشا ضمن الموجودين — أحضر الخديو حمزة بك رئيس القلم العربى وأعطاه الأمر بالاحالة وكان من إملاء بطرس باشا وأرسل لحسن عاصم باشا بعد عوده لمنزله، وهومختصر وجاف وفيه يقول الخديو ماملخصه : « اقتضت إرادتنا إحالة سعادتكم على المعاش ولذا لزم إخطاركم بذلك ». وكان هذا نتيجة لما كان منه فى نفس الخديو منذ مسألة تفتيش مشتهر وما ترتب عليها .

وبهذه المناسـبة أذكر أن عباساً عندما كان يأمر بفصل أحد الموظفين اعتاد أن يقول لرئيس القلم العربى: « طرطره » .

وقد دافعت جريدتا اللواء والأهرام دفاعاً شديداً عن حسن عاصم باشا وعرّضتا بالخديو فى مطامعه المالية التى هى سبب غضبه عليه .

وظل منصب عاصم باشا خالياً حتى يوم ٣١ ديسمبر ، حيث حضر إلىّ زكى باشا وأخبرنى أن الخديو — بعد مخابرات بينـه وبين بطرس باشا — عزم على إسناد منصب رئيس الديوانين العربى والافرنجى إلىّ وأن يعطى لعزت بك منصب رئيس الديوان التركى .

ولم يبـارح الخديو سراى عابدين فى هـذا اليوم حتى وقع الأمر بتعيينى وتعيين عزت بك رئيساً للديوان التركى . وهـذا نص الأمر الذى صدر بتعيينى : « سعادتلو أحمد شفيق بك — بناء على ما نعهده فيكم من الصداقة وحسن الادارة والدراية اقتضت إرادتنا تعيينكم رئيساً لديوانينا الافرنجى والعربى ابتـداء من أول ينـاير سـنة ١٩٠٥ وأصدرنا أمرنا هذا لتباشروا أعمال وظيفتكم بالهمة والنشاط » .